إهداء

إلى كل مسلم يريد أن يتحاور

للحق ، وبالحق ، ومن أجل الحق

شكر وتقدير

أخص بالشكر والتقدير كل من ساهم في إخراج
هذا الكتاب بأية صورة من الصور وصولاً لبلورة
هذه الفكرة في أفضل ثوب لها. فجزاه الله
خير الجزاء ، وجعله في ميزان حسناته يوم

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فالحمد لله الذي خلق الإنسان، وكرمه أيما تكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70)، وبسط له سبل المعيشة على خير وجه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: 29)، وأوجد له سبل الحياة حتى تتحقق خلافة الإنسان على أحسن حال، ويتم العيش والتعايش، والاتصال والتبادل بما يحقق خير البشر جميعًا.

وحتى تتحقق صلة الإنسانية ببعضها، ويتم التآزر والتعاون بينها، كان الحوار، فإذا وجد الإنسان كان الحوار، ولا يعدو الحوار أن يكون وسيلة للتخاطب بين الأفراد، كيف وقد خاطب الله به ملائكته في معرض بيان خلافة الإنسان على الأرض، على النحو الذي يليق به سبحانه وتعالى، بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: 30 –32). بل، وكلم الله سبحانه وتعالى آدم، فقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ (البقرة: 33)، وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: 35).

وكلم الله عز وجل سيدنا موسى، عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 164). بل، كلم رسولنا وسيدنا محمد ﷺ، وفرض عليه الصلوات الخمس في الإسراء والمعراج حال سدرة المنتهى، بعد أن قابل رسولنا محمد ﷺ كليم الله، فأوضح له أن أمته لا تطيق الخمسين صلاة في اليوم والليلة، فرجع رسول الله، ﷺ، سائلاً ربه التخفيف، كما هو ثابت في حديث الإسراء والمعراج في رواية مسلم عن أنس بن مالك "... . ثم ذهب إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالتلال، قال فلما غشيها من أمر الله، ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض ربك إلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى عليه السلام، فقلت: حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا

يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: يا محمد إنهم خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه "(1)

بل إن الله عز وجل قد كلم عبد الله بن حرام بدون حجاب، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله، ﷺ، إن الله تعالى لا يكلم أحدًا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا، فقال: تمنّ عليّ . . . . "(2).

وبالخطاب وبالحوار كان بلاغ الرسول ﷺ لأمته، وكانت دعوته، إذ لما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه، ﷺ، أن يصدع بأمر الدعوة وإنذار عشيرته، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(الشعراء: 214)، وكما روي البخاري بسنده عن ابن عباس، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع إن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب:

---

(1) صحيح: رواه مسلم برقم (259) في كتاب الإيمان – باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، صحيح مسلم بشرح النووي – تحقيق عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، ط دار الحديث، ط1، 1415هـ – 1992م

(2) رواه الحاكم (204/2) معرفة الصحابة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ (1).

ولقد توالت الدعوة والحوار، فكان الحوار سبيل الدعوات، ناهيك عن أطره الأخرى، والتي لا تنفك عن الإنسان إذ وجد، كدوره في التربية والثقافة وبيان الحقوق والالتزامات، وكافة ما يتعلق بالإنسانية جمعاء.

ولقد ضرب الرسول، ﷺ، أروع المثل في الحوار أدبًا وشروطًا، وحجة وبيانًا، وقوة وسلطانًا، وتبعه في ذلك الصحابة الأبرار، والتابعون لهم بإحسان، حتى انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، بفضل كلمة طيبة، وحوار دافئ، وخطاب دافق، وجدال بالتي هي أحسن، ثم توالت العصور والدهور، وتغيرت الظروف والأحوال، وبات الحوار يشكو ربه إلينا، فبعد أن كان الحوار وسيلة دعوة وقربى، أصبح طريق الجفاف والجفاء، بعد أن كان الحوار بابًا للدعوة، ومفتاحًا للتربية، وطريقًا للثقافة، انخرم ذلك كله، وأصبح بابًا مؤصدًا بين أهل الإسلام، فكيف بين المسلمين وغيرهم، فترى حربًا ضروسًا بين طوائف المسلمين، ترى قتالاً شرسًا بين المتحاوربن، ترى بغيًا وتنافرًا، وتصارعًا وتقاتلاً، وبعد أن كانت الدعوة موجهة لغير المسلمين، أصبحت تراها بين المسلمين، بل وبين القائمين على أمر الإسلام، وهذا هو العجب العجاب!!!

(1) صحيح: رواه البخاري برقم (4770) في كتاب التفسير – باب "وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك"، راجع فتح الباري – بشرح صحيح البخاري – للإمام الحافظ بن حجر العسقلاني – طبعة دار الحديث– الطبعة الأولى – 1419هـ – 1998م.

وإذا كنا نتشدق جميعًا، ونرمي أمة العرب بأنها أمة واحدة، في نطاق جغرافي واحد، تتكلم بلسان واحد، أنزل عليها وحي واحد، ونتعجب ونتساءل: لماذا لا تجتمع على كلمة سواء؟ لماذا لا تقف صفًّا واحدًا في مواجهة الأعداء؟! أما أولى هذا أن يوجه هذا العجب إلى من تجمعهم قضية واحدة، تجمعهم أفراحها وأتراحها؟!! أما أولى أن تقال إلى من يتخندق في خندق واحد تحت راية الإسلاميين؟!! أما أولى أن نضرب مثلاً عمليًّا مصغرًا لأمة الإسلام؟!!

والناظر للواقع، وللخلافات بين من يحملون هم الدعوة، ليتقطر دمًا، ويتقطع الحسرات من هذا الواقع المهين المشين، إذ يرى غير المسلمين وقلوبهم شتى تجمعهم آصرة العداء على الإسلام وأهله، بل يرى أعداء الإسلام ينهشون الإسلام وأهله جملة واحدة، بل يرى تكامل السياسات، وتعاون الخطط، وتآزر أفرادهم كلهم في ضرب الإسلام وأهله.

فإن وليت وجهك شطر الإسلاميين تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى، تحسبهم كتلة مجتمعين وهم فرادى مبعثرون، ورغم أنه يوجد ما يجمعهم، رغم اختلاف مشاربهم في خدمة الحق، إلا أنك ترى الحرب مستعرة بينهم دائمًا، لا تكاد تنطفئ في جانب حتى تشتعل في جانب آخر، تجد عبارات الهمز والغمز واللمز والطعن بينهم وفي حواراتهم، حتى للأسف في الخلافات الفقهية، إذ تجد الوصف بالجمود والانغلاق، وبعدم مسايرة الواقع، . . . ، وغير ذلك، وهذا في أبسط شيء، ألا وهو التحاور، فكيف بغيره، إن كنت قد أخذت برأي واجتهدت فيه، فلماذا تلمز من اجتهد كذلك برأيه؟!!

ما كان هذا هدي النبي ﷺ ولا هدي أصحابه الكرام، بل ولا كان هدي الأئمة المتبوعين، ما كنت ترى التشنيع قط بينهم، بل كان بعضهم يدعو لبعض. وهذه بنت الإمام أحمد بن حنبل، ترى أباها يدعو كثيراً للإمام الشافعي، فسألته، فأوضح لها فضله، وأنه كان كالشمس للدنيا، وما كان قولهم إلا أن قالوا: رأيي الصواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، مع توضيح كل لرأيه مع احترام أدب الحوار والخلاف، كل هذا والإسلام في أخطر مرحلة يمر بها منذ البعثة المحمدية، بعثة النبي ﷺ، إذ ترى تكالب الداخل والخارج على نحر الإسلام، وتذبيح أبنائه، واستحياء نسائه، وضربه في كل مكان، وتنفيذ المرحلة الأخيرة من مخططاتهم ـ لا مكنهم الله من ذلك.

إزاء هذا الضعف المزري، والتفرق الجاري بين المسلمين، وحب الدنيا وكراهية الموت، وتهلهل الإيمان في قلوب المسلمين، فماذا ينتظر أولئك لكى يتّحدوا، بل قل لكي يتعلموا أدب الحوار؟!

وهناك أطر للحوار نراها قد تنكبت سبيل الحوار الأرشد، بسبب شعارات زائفة بثها أعداء الإسلام، ليدخلوا المسلمين في حلقة جديدة من حلقات الفراغ الفكري، نعم، أنتم المسلمون، لماذا لا تتحاورون مع الآخر؟!!!

لماذا أنتم منغلقون على أنفسكم، منكفئون عليها؟!!

لماذا لا يتم التحاور لإرساء قيم المحبة والوئام، ونشر السلام العالمي في البسيطة؟!!

ونحن نقول يا من تدعون لغة الحوار وتزعمون الاتصال مع الآخرين، وتتكلمون كثيراً عن المحبة والوئام ونشر السلام، أين أفعالكم من أقوالكم؟!!

أين أنتم من بلاد المسلمين التي لا تتوقف فيها حمامات الدم ؟!!

أين أنتم من اتّباع الحق الواضح كالشمس في رابعة النهار؟!!

لكن المسألة لا تعدو أن تكون كلامًا في كلام، هذا الكلام ينفصل عن الواقع، كالزوجان المطلقان طلقة بائنة، ومع ذلك نرى إصرار البعض بالتحاور مع هؤلاء، أي تحاور هذا ودماء المسلمين تنزف في كل مكان! ! أي تحاور هذا وأتراح المسلمين تزداد يومًا بعد اليوم بسبب هؤلاء! !

وإذا كان هؤلاء قد جحدوا بالحق وكفروا به، هل يوفون بالعهد مع الإنسان؟!!

وطائفة أخرى أفنت عمرها في محاورة زنادقة العصر، ومن يطعنون في الإسلام ليل نهار، سرًا وجهرًا، أناس اصطفوا في هدم ثوابت الإسلام وأسسه، فماذا تنتظر من حوار هؤلاء؟! وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ (عبس: 5ـ10).

لهذا، ولغيره، كان موضوع الحوار، وكانت أهميته القصوى لمعرفة الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ومعرفة المنهج الإلهي في الحوار، والمقومات الأساسية لإقامة أي حوار بناء، والشروط العامة للحوار وآدابه، وبيان عوائقه حتى يكون الحوار على أسس توافق الشرع، وضوابط لا تخالف الوحي، وحتى نعرف المواطن التي يجب أن نتحاور فيها، والأزمنة التي نتحاور فيها والأشخاص الذين يجب أن نتحاور معهم؛ حتى لا يضيع جهد المسلمين عبثًا وسدى، ولا يستدرجوا إلى أقوال وأفعال، تخالف الشرع، وتقتطع منه لمصلحة

أعداء الإسلام، وتذيب الفوارق بين الحق والباطل، وترفع من شأن أهل الباطل، وتدعم كيانهم، وتزيد نفوذهم، وحتى لا نتعلق بالوهم ولا بالخيال، كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئًا، وعلى العكس من ذلك نستخدم الحوار في أطره الصحيحة، في الدعوة، في التربية، في الثقافة، في بيان الحق ونشره، وإجلاء الصواب وبثه، وإيضاح الخير ونثره، وحتى يؤدي الحوار دوره المنشود في هذا كله.

هذا، ولقد ركزت في هذا الموضوع على أحوال أهل الإسلام المعاصرة لمعالجة الواقع، فلقد أصبح الكثير منا حُفاظًا لنصوص الوحي غير مسقطين لها على الواقع، رغم أن ذلك هو أساس الأمر وعموده، وما كان شأن القرآن الكريم ولا السنة المطهرة أن ينفصلا عن الواقع، بل العكس، فهذا دأبهما يحللان المشكلة، ويقدمان إطارها الصحيح، ويضعان العلاج الناجح، والدواء الشافي لتلك المشكلة، وهذا هو الغرض من الكتابة أولاً وآخرًا، فلسنا دعاة أقوال ولا نظريات جوفاء ليس لها من قرار ولا استقرار على أرض الواقع، فهذا ما حاولت أن أعالجه بفصل تمهيدي، فصدرت البحث أولاً بكلمة عن الحوار وفحواه، ومضمونه ومبناه، وثنيته بتبيان أهميته، وثلثته ببيان مشروعيته، وختمته بإبراز مجالاته. ثم بسطت أصول الحوار، وبينت مقوماته، ووضحت شروطه، وأفردت آدابه، وأجليت عوائقه. ثم عرجت بعد ذلك على منظومة الحوار عبر التاريخ، وكيف أنه كان لصيقًا بالإنسان، متصلاً به، بل وقبل خلقه، كما تقدم وسيأتي في حوار الله عز وجل مع الملائكة بشأن استخلاف الإنسان، ثم انتقلت رحلة الحوار بعد ذلك إلى بيان الحوار مع الذات وأهميته، والحوار مع الآخر وضابطه، إلى أن وصلنا إلى محطة الحوار والمواجهة،

وبيان صحيح الشرع في هذا الصدد، وجاء مسك الختام في بيان ثمرات الحوار في كل من الدعوة والتربية والثقافة. والتزمت في هذا كله بالاختصار غير المخل، والأسلوب غير الممل، مركِّزًا على أمراض الأمة، مبينًا الداء، مستخلصًا الدواء، موضحًا الحق جهدي، وأرجو أن أكون قد وفقت، مخرجًا الآيات والأحاديث، مكتفيًا بالعزو إلى صحيح البخاري ومسلم أو أحدهما، إن وجد فيها الحديث، وإلا بينته في موضعه، وختمت هذا البحث بخاتمة أخلص فيها إلى نتائج هذا البحث.

وعليه، فإن مدار هذا البحث على النحو الآتي:

- **فصل تمهيدي: التعريف العام للحوار.**
- **الفصل الأول: الضوابط العامة للحوار.**
- **الفصل الثاني: الحوار في التاريخ الإنساني.**
- **الفصل الثالث: الحوار مع الذات والحوار مع الآخر.**
- **الفصل الرابع: بين الحوار والمواجهة**
- **الفصل الخامس: ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة**

ملاحظة:

تم تعديل عنوان الكتاب – فنيًّا ـ قبيل الطبع مباشرة ، دون المساس بالمحتوى ، وذلك بعد صدور موافقة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، لذا لزم التنويه.